

خمسة أقاصيص

محمود الريماوي

(١) سليم الحلبي

خرج المواطن سليم الحلبي في السابعة والنصف صباحاً من بيته متوجساً وناقماً على ما يحدث في البلاد، فإذا برجلين لا يعرفهما وإن كانت سحنة كل منهما تبدو مألوفة له، ينكبان على فك عجلات سيارته الفيات موديل ١٩٨١. توقع سليم أن يبادر الرجلان بالفرار ما أن سمعا وقع خطواته، لكنهما لدهشته واصلا ما كانا منهمكين به، وهو ما أثار حنقه بأكثر من سطوتهما على أجزاء سيارته. وقد تمالك أعصابه وسألهما عما يفعلان. فأحباب أحدهما وهو الأقرب إليه منهما، وكان يفك العجلات الأمامية.

تسألني: ماذا نفعل؟ نفعل ما تراه.

هذه سيارتي. قال له.

فأجابته الرجل بصوت خافت كأنها يحدث نفسه: الناس للناس. لو لم نكن بحاجة للعجلات لما أتينا، ولما تجشمتنا عناء فكها.

سليم الحلبي وقد استبد به الغضب ركل الرجل بين ساقيه، لكن هذا تفادى الركلة التي مسّت مسّاً طفيفاً بقماش بنطلونه، وتمكن من الوقوف ودحرجة العجل الى الوراء، ثم هبّ واقفا يحمل مفكاً كبيراً وجّهه كالجربة الى صدر سليم، وفيما كان يحدق في عيني سليم فقد سأل رفيقه الذي في الخلف: هل أنهيت عملك؟. أجابه هذا بصوت مسموع بأنه تمكن من فك العجلتين ونزع الأضواء

الخلفية وهي جميعاً بحالة سليمة. فقال الرجل الذي في الأمام: نأتي مرة أخرى، ونكمل عملنا. هذا السيد لا يحتاج الى سيارته.

اندفع سليم نحوه وتمكن من شد وثاقه، لكن هذا بقوته الجسمانية المضاعفة أفلت منه، وصرخ بأعلى صوته في وجه سليم: أغرب عن وجهي. أنت لص. أنت عميل. عد الى بيتك.

وبينما لم يمر أحد في الاثناء عبر الزقاق ، فقد تجمّع على صوت الرجل فجأة بضعة شبان، سرعان ما تزايدوا وأخذوا يهتفون وقد أحاطوا بسليم والشرر يتطاير من أعينهم: يا لص يا عميل. لص وعميل ولا تخجل. ثم هتفوا معا وبحرارة : تسقط أميركا.. تسقط تسقط تسقط، تسقط اسرائيل.. تسقط تسقط تسقط، وخلال إطلاق الهاتف تسلل شُبان الى داخل السيارة، وشرعوا بتفكيك أجزاء منها بسرعة واحتراف، بعدما تمكنوا من فتح أبوابها، ولم يُبقوا منها سوى على هيكلها. ثم انسحبوا جميعاً الى حافلة صغيرة حديثة الموديل، كانت بانتظارهم في مدخل الزقاق.

سليم منذ ذلك اليوم لم يذهب الى عمله في المحددة، ولم يعد الى بيته. وثمة من عرفه في صور وتسجيلات التقطت له وتمّ بثّها، وهو ملثم بكوفية ويمتشق سلاحاً.

(٢) حياة رخيصة

العبد وقد ضاقت الدائرة على سيده الذي ابتلي بالأمراض والسهاد وانعدام الشهية الى الطعام والشراب بعدما ثار الناس عليه، وأحاطوا بأسوار القصر إحاطة السوار بالمعصم، وقرعوا بوابته قرعاً شديداً.

...العبد وقد حدث ما حدث من حدثٍ جلل، التمس من / إلى سيده أن يفك قيده لبعض الوقت، كي يتسنى له امتشاق السلاح دفاعاً عن سيده الأبدى، وقصره. سيده حاضر البديهة أجاب على التو بأنه سيفعل ذلك على الرحب والسعة، وأنه سينقل القيد من يدي العبد الى قدميه، مع توسيع دائرة القيد بما يُمكن عبده الحبيب من الزحف المريح. أمام هذه المفاجأة السارة (التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على ..) أمام ذلك انكبَّ العبد على قدمي السيد الرئيس يوسعهما تقبيلاً ودموع الفرحة تغسل قدمي سيده، وهو يهتف: لو أصابك ضرٌّ يا سيدي، لو نالت منك العوام والدهماء لا قدّر المولى، فلسوف أحرم وأبنائي من الحرية الى الأبد.

ولم تمض سوى ساعة أو بضع ساعة حتى خرَّ العبد صريعاً عند أسوار القصر، ولم يرفع أحدٌ جثته من هناك، لكن صورته تناقلت في هيئة عيدٍ ثانٍ سارع للامتثال بين يدي السيد الرئيس، ملتمساً الإذن له بأن يفتدي سيده بحياته الرخيصة، وشفاعته في ذلك أنه لا يملك من متاع الدنيا شيئاً سواها..

(٣) السيد والعبد

وقف العبد فوق جثة أمه الساخنة التي قتلها سيده هذا الصباح بمسدس كاتم للصوت، وأنبأ العبد سيده بنبرة مفعمة بالتأثر الشديد، أنه شديد القلق على صحة الطفل المُكْرَم ابن سيده، بعد ما تناهى الى علمه أن سيده الصغير مُصابٌ بزكام. فطمأنه السيد الكبير أن صحة السيد الصغير في تحسن، وأن الرجل الصغير يشكو فقط من انحراف في مزاجه ، وسوف يتحسن مزاجه بعد قليل حين يتمكن من اصطياذ ققط وكلاب صغيرة في الحديقة بمسدسه الذهبي. فتبسم العبد مثبياً على الروح المرحة لسيدة الصغير، وعلى ذكائه الموروث.. ثم طلب السيد من العبد أن يسارع لتنظيف المكان من الدم، والتخلص من أشياء زائدة في المكان، فهز العبد رأسه قائلاً: هذا هو ما انتوي فعله الآن سيدي. فُسِّر السيد لذلك سرورا غامراً، وحَدَّث نفسه بأن الحياة في القرن الحادي والعشرين وبدون وجود عبيد شديدة الصعوبة، وحمد المولى أنه يتوافر على عبدٍ ممتاز، نَشِط، متوقد الذهن، ذرب اللسان، مرفوع الرأس، مهيب الجانب وموفور الكرامة.

(٤) طعم طفولتها

في طريقها للعودة الى البيت من مشوار تسوق قصير، تستوقف الأم الشابة البائع، وتشتري منه عود حلوى "شعر بنات" زهري اللون لطفلتها ذات الأعوام الأربعة.

تندُّ البائع المصري الذي يتوقف عن العزف على الأداة الموسيقية الصغيرة في يده ، خلال عملية البيع والشراء. وسرعان ما تطلب واحدة أخرى، عوداً آخر. الصغيرة تهتف مُتهللة بكرم أمها الفائض.

الأم اشترت العود الثاني لها وليس لطفلتها، لكن هذه سارعت لاختطاف الحلوى السّكرية الهشّة.

تطلب الأم عوداً ثالثاً لا تُمدُّ الصغيرة ذراعها نحوه.

البائع أسعده بيع ثلاثة أعواد لا واحداً، وما إن تقاضى الثمن حتى عاد يضع المولوديكاً أداته الموسيقية الصغيرة التي تشبه قالب شكلاتة مستطيلاً في فمه، ويصدق بها.

الأم تحمل العود وتفاجأ بمدى خفته حتى يكاد يكون بلا وزن، تلتفتت حولها ولا تصادف أحداً قريباً منها، فتسارع لالتهام شعر البنات. وسرعان ما يذوب السكر المنفوش الملون في فمها. قضمه قضمات ثلاث قضمات.. يذوب وتفرغ منه . تتنبه الى اصطباغ فم طفلتها بلون مزيج من البني والأصفر، فتتحني عليها وتمسح فمها بمنديل ورقي أبيض لكن بعض اللون قد زال وليس كله. تمسح

فمها هي بقلق وعصبية. أما طعم شعر البنات في فمها فهو حلو شديد الحلاوة، وبنكهة لا تتوافر في سواه، لكنه يُخَلَّف في الفم.. في فمها طعماً أقرب للمرارة.
.. طعم طفولتها التي ذابت، وكأنها لم تكن.

(٥) ثلاثة دنانير

الشاب العشريني ذو السمات "العادي" والهيئة الطبيعية، والذي تنبىء هيئته بانتسابه الى شريحة تقع بين محدودي الدخل ومتوسطه، دخل الى الحانوت في ساعة الظهر بخطى واثقة، ولم يكن هناك زبائن في المكان، وتوجّه من فوره الى التاجر طالباً برأس مرفوعة وصوت ثابت ومسموع: أعطني ثلاثة دنانير.

صاحب الحانوت، وقد تملكته المفاجأة سأل الشاب: لماذا تريد الدنانير الثلاثة مني؟.

الشاب: أريد أن آخذ إبرة (حقنة).

التاجر: الله يبعثلك.

الشاب : ماذا قلت؟.

التاجر: الله يعطيك.

الشاب، وقد ارتجّ عليه ردّ غاضباً: هل تراني أشهد منك حتى تجيبني بهذا الجواب؟.

التاجر لم يفهم شيئاً ولم يجب، فيما اكتفى الشاب باحتجاجه وقد اشتد عليه غضب مكتوم، وغادر منتصب القامة. لم تضرب خطواته ولم يلتفت الى الوراء، أو يخطىء طريقه الى الخارج.